موقف المستشرقين من السُّنَّة النبويَّة

The Orientalists' position on the Prophet's Sunnah

إعداد

د. أحمد حمدي أحمد علي

Dr. Ahmed Hamdy Ahmed Ali

باحث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

Doi: 10.21608/mdad.2024.339802

استلام البحث ٢/ ١٢ /٢٠٢٣

قبول النشر ١٢/٢٨ /٢٠٢٣

علي، أحمد حمدي أحمد (٢٠٢٤). موقف المستشرقين من السُّنَّة النبويَّة. ***المجلة العربية لمـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٤)، ٢٠١- ٢٣٢.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

موقف المستشرقين من السُّنَّة النبويَّة

المستخلص:

يناقش البحث ما أثاره المستشرقون من شبهات حول السنة النبوية، يشككون بها في ثبوتها، ويتعسفون في تأويل نصوصها، ويقللون من الجهود الضخمة المبذولة في خدمتها، ومن أهم المواضيع التي كثر كلامهم حولها موضوع تدوين السنة النبوية، وتأخر كتابتها، والكيفية التي تم بها جمعها.

وأمام هذا الواقع الصعب جاء هذا البحث بعنوان "موقف المستشرقين من السُّنَّة النبوية" ردًّا عليهم وعلى بعض الباحثين العرب الذين تناولوا نصوص القرآن والسنة بقراءة جديدة تسمَّى «الحداثة»، وهي قراءة تأويلية تستمِدّ آلياتها من تجارِب الغرب في فهم نصوصهم المقدسة، وباستخدام نظريات عقلية كانت وليدة الصراع الحداثي الغربي مع الدين.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث هي:

- المبحث الأول: الاستشراق والمستشرقون في الميزان
- المبحث الثاني: حجية السنة النبوية من القرآن والسنة والعقل
- المبحث الثالث: نماذج من شبهات المستشرقين حول السنة النبوية والرد عليهم.

كلمات مفتاحية: السنة النبوية – المستشرقون– التأويل– الحداثة.

Abstract:

The research discusses the suspicions raised by Orientalists about the Prophet's Sunnah. They doubt its validity, arbitrarily interpret its texts, and belittle the huge efforts expended in its service. One of the

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

most important topics about which they talked a lot was the subject of recording the Prophet's Sunnah, the delay in writing it, and the method by which it was collected.

In the face of this difficult reality, the title of the research was "The Orientalists' Position on the Prophet's Sunnah" in response to them and to some Arab researchers who approached the texts of the Qur'an and Sunnah with a new reading called "modernism". It is an interpretive reading that derives its mechanisms from the West's experiences in understanding their sacred texts, and using rational theories that were the result of the Western modernist conflict with religion.

The research was divided into three sections:

- The first: Orientalism and the Orientalists in the balance.

- The second: The authenticity of the Prophet's Sunnah from the Qur'an, the Sunnah, and the mind.

- The third: Examples of orientalists' suspicions about the Prophet's Sunnah and the response to them.

Keywords: The Prophet's Sunnah - Orientalists - interpretation – modernity

. . .

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن الله قد اختار لهذه الأمة خير نبي مرسل، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وتكفَّل بحفظ دين نبيه، ﷺ، وسخَّر لذلك رجالا على مر العصور كان همُّهم وشغلُهم الشاغل حفظَ هذا الدين المتين، والدفاع عنه ضد المعتدين والطاعنين.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ومنذ اللحظة الأولى من عصر الخلافة أمر أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، الصحابةَ بجمع القرآن الكريم وتدوينه، وما فتئ الزمانُ حتى قام الخليفة الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بإرساء لبنة راسخة في حصن الإسلام الحصين، فنسخ القرآنَ في مصحف واحدٍ وأرسل به للمدائن والبلدان وبقي أمر السنة النبوية المطهرة محفوظًا في القلوب والعقول، حتى بدأت بذرةُ التدوين وبزغ عصر الصحيحين والسنن والمسانيد والمصنفات وغيرها – وما رافقها من أجواء الحفظ والتدقيق والشرح والتحقيق وما نتج عنه من تصفية لكتب السنة التي بقيتْ حتى عصرنا هذا حاملة في طياتها كلام المصطفى، ﷺ، بكل ما يحمله من بلاغة وبيان وإحكام.

ومن ذلك تأسست أجواءُ الفهم والتحليل لنصوص الوحي ودراستها واستنطاق عباراتها، والإلمام والاهتمام بتحليل إشاراتها، وحراسة مدلولاتها ومعانيها الأولية والثانوية، وفهمها وتأويلها، وذلك ضمن قوانين علمية مضبوطة وقواعد مشدودة ومناهج راسخة مرتبطة بمقتضيات اللغة ومحتكمة للشرع الحنيف وحدوده؛ وذلك خوفًا من أي تأويل مجازف، أو استنباط مخالف، وصيانة لنصوص الوحي من الإسفاف أو الاستخفاف، والبعد عن قوانين التأويل المجانبة لقواعد اللغة والشرع، فتشكلتْ بذلك منظومة متناغمة من أصول الدين والفقه تحمل قواعد مستندة إلى أدلة شرعية ولغوية معلومة لكل مشتغل في هذا الفن.

ولقد بقي الأمر كذلك، حتى برز عددٌ من الباحثين العرب تناولوا نصوص القرآن والسنة بقراءة جديدة تسمَّى «الحداثة»، وهي قراءة تأويلية خارجة عن نطاق المعهود المنطقي، مستمِدَّة آلياتها من تجارِب الغرب في فهم نصوصهم المقدسة عندهم، غير مكترثين لنتاجات نصوصهم العقدية والفقهية بقدر ما تتوق إليه أنفسهم من النقد، باستخدام نظريات عقلية – والتي كانت وليدة الصراع الحداثي الغربي مع الدين مما يؤدي إلى إلغاء مصادر الدين وإسقاط عصمتها، والثورة عليها، والتحرر منها، وعزلها عن قائلها – بالتشكيك في سلامة صدورها عنه تارة، والتعامل معها من منطلق عقلي تجريبي بحت تارة أخرى.

ومن هنا أثار المستشرقون عدة شبهات حول السنة النبوية، يشككون بها في ثبوت السنة، ويتعسفون في تأويل نصوصها، ويقللون من الجهود الضخمة المبذولة في

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

خدمتها، ومن أهم المواضيع التي كثر كلامهم حولها موضوع تدوين السنة النبوية وتأخر كتابتها والكيفية التي تم بها جمعها.

وأمام هذا الواقع الصعب جاء هذا البحث بعنوان: موقف المستشرقين من السُّنَّة النبوية. وقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع:

- تعالي أصوات المستشرقين الذين يدَّعُون أنهم باحثون منصفون، ويدَّعُون أنهم متجرِّدُون للبحث.

الهجمة الكبيرة التي تتعرض لها السنة النبوية للنيل منها ومن حَملتها الذين بذلوا في سبيلها أعمارهم وحياتهم.

- كثرة الشبهات المثارة حول السنة النبوية.

وقد قسمتُ البحث إلى: مقدمة وثلاثة مباحث.

ذكرتُ في المقدمة نبذة مختصرة عن موقف المستشرقين عموما من السنة النبوية. أما التمهيد فجاء حول التعريف المختصر بالاستشراق والمستشرقين، واشتمل على موضوع البحث وأسباب اختياره.

وجاء المبحث الأول بعنوان: الاستشراق والمستشرقون في الميزان

وجاء المبحث الثاني بعنوان: حجية السنة النبوية من القرآن والسنة والعقل

وحمل المبحث الثالث عنوان: نماذج من شبهات المستشرقين حول السنة النبوية والرد عليهم.

الشبهة الأولى: السنة النبوية لم تدون إلا بعد مائتي سنة من وفاة النبي ﷺ.

الشبهة الثانية: كثرة الأحاديث الموضوعة من العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الإسلام دينا كبيرا، وأن من أسباب ذلك التطور الديني السياسي.

الشبهة الثالثة: الاكتفاء بالقرآن الكريم ولا حاجة لنا بالسنة.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وجاءت الخاتمةُ حاملةً نتائجَ البحث.

* * *

المبحث الأول: الاستشراق والمستشرقون في الميزان

الاستشراق حركة ظهرت في العصر الحديث، وتبدو هذه الحركة علمية في ظاهرها؛ فهي تحاول دراسة التراث الشرقي، ولكنها في الحقيقة تبغي من وراء هذه الدراسة التعرّف على منابع تراثنا الشرقي، ثم تحاول صرف أهله عنه، ليجرفهم تيار الحضارة الغربية كما هو الواقع الذي نعيشه الآن.

والمستشرقون جماعة من علماء الغرب - من مسيحيين ويهود وملحدين - درسوا اللغات الشرقية من عربية وفارسية وعبرية وسريانية وغيرها، وتوفر كثير منهم على دراسة اللغة العربية والإطلاع الواسع على علومها ومعارفها؛ لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة للقاء كثير من المفتريات والأباطيل في محيط الإسلام للتهوين من شأن الدعوة الإسلامية والتقليل من أثرها في الحياة، وفي الارتفاع بالمستوى الإنساني، وبدورها في إنقاذ الإنسانية وتحريرها من العبودية، وإخراجها من الظلمات إلى النور[1].

إن موضوع الاستشراق ليس من الموضوعات التي تطرق للمرة الأولى، وإنما تطرق في العقدين الأخيرين على وجه الخصوص مرارا في مؤلفات، وكتب، ومحاضرات، ومقالات صحفية، وتحقيقات في المجلات والدوريات، ولكن النظرة إلى الاستشراق كانت تتغير باستمرار حتى انتهت إلى الصورة التي يمكن أن تعتبر واضحة في الأذهان.

وأبادر فأقول: إنني سأعرض لموقف المستشرقين عموما من السنة النبوية، وهو

---

[1] يراجع في تعريف الاستشراق والمستشرقون: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود زقزوق، ص٥، طبعة ١٩٨٣ -١٤٠٤هـ ، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته ص٧٩ عبد المنعم محمد حسنين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة – العدد الثاني – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

موقف في عمومه يتسم بأنه حرب شرسة تولى كبرها جل المستشرقين وعلى رأسهم جولدتسيهر اليهودي المجري الذي درس في أشهر مدارس الاستشراق في برلين وبودابست ثم رحل إلى سوريا سنة ١٨٧٣ حيث تتلمذ على العلامة الشيخ طاهر الجزائري ثم نزح إلى فلسطين ومصر، ثم درس اللغة العربية على شيوخ الأزهر وقد شهد له علماء الغرب بطول الباع وبعد النظر، وله مؤلفات عديدة في الفرق الإسلامية والفقه وهو صنم المستشرقين الأكبر على حد قول شيخنا الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه الماتع "دفاع عن السنة".

ومنذ مطلع القرن العشرين وإلى الوقت الحاضر نعلم كيف برزت منطقة الشرق الأوسط، وأهمية هذه المنطقة استراتيجيا واقتصاديا وبالتالي فإن الدراسات الاستشراقية استمرت واتصلت، كما أن مؤتمرات المستشرقين واصلت طريقها بدعم من الحكومات ومن المؤسسات ومن الأغنياء (الأفراد) من الأمريكيين والأوروبيين. ونجد أن الاستشراق الروسي يبرز بشكل أقوى منذ الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م[٢].

وإذا كان الكثيرون قد تصدوا للدفاع عن السنة النبوية ضد هجمة المستشرقين مثل فضيلة الشيخ محمد الغزالي في كتابه المتميز "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين"، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه الشهير "دفاع عن السنة"، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم في كتابه الماتع "دفاع عن الحديث النبوي" وغيرهم ممن عنوا بهذه القضية وهم كثر، فإننا سنحاول التركيز على النقد الذاتي القديم للاستشراق حيث وقفت على جزء من كتاب للمستشرق الإنجليزي الدكتور هنري ستوب في كتاب له بعنوان:

"An Account of the Rise and progress of Mahometanism. With the life of Mahomet and A Vindication of him and his Religion from the Calumnies Christians.

أي: "قضية انبثاق المحمدية – الإسلام – وتطورها مع سيرة محمد، وتبرئته وديانته من

---

[٢] موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ص ٥٩ د أكرم بن ضياء العمري الجامعة الإسلامية – بالمدينة المنورة. كلية الدعوة.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

افتراءات المسيحيين". وقد خصصه كله لنقد موقف المستشرقين من الإسلام ورسوله"[٣].

وأسارع فأقول: إن هذه الوثيقة والتي كتبت عام ١٧٠٥م من الأهمية بمكان في النقد الذاتي للاستشراق ومما يؤسف له أن هذا الكتاب قد بقي لأمر ما، مخطوطا قرابة قرنين ونصف من الزمان إلى أن هيأ الله له نزيل هندي اسمه حافظ شيراني فقام على تحقيقه وتوثيقه ونشره في لندن سنة ١٩١١م ونشر في لاهور سنة ١٩٧٥م وترجم جزءا منه الدكتور محمد عبد الشرقاوي وأورد هذا الجزء ضمن كتابه "الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام"، وما زال المتحف البريطاني يحتفظ بثلاث نسخ مخطوطة لهذا الكتاب، علاوة على بعض خطابات ورسائل تبادلها هنري ستوب مع بعض العلماء والمفكرين، وأنا بدوري أحاول الوصول لتصوير نسخة عن المخطوط من لندن، والله المستعان.

إن هذه الوثيقة التاريخية الفريدة والنادرة التي ألفها د. هنري ستوب، أحد علماء القرن ١٧م تحت عنوان (دفاع عن الرسول والإسلام)، وهو أول كتاب باللغة الإنجليزية، ولعله أول كتاب غربي قام بهذه المهمة النبيلة التي تفضح مواقف كثير من النصارى الأوروبيين من الإسلام ورسوله والذي خرج عن السياق النمطي المألوف الذي انزلق فيه كبار القوم، أمثال: دانتي وشكسبير وفولتير وغيرهم؛ لكن صاحبنا كان يتمتع بعقل حر وتفكير مستقل تمثل في كراهيته للتقليد والجمود وتجافيه عن التعصب الأعمى والانغلاق على الذات، ما دفعه للاعتراف بالآخر وتقديره بأمانة وموضوعية كما هو في الواقع المتعين وليس كما تهوى الأنفس ويمليه الظن السيئ فإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، فقد ألف كتابه في القرن (١٧) م، أي في عصر الجهالة في موقف الغرب من الإسلام.

ومما يؤسف له أن هذا الكتاب بقي لأمر ما مخطوطاً قرابة قرنين ونصف من الزمان إلى أن هيأ الله له نزيل لندن الهندي المسلم (حافظ شيراني)، حيث قام بتحقيقه وتوثيقه ونشره في لندن عام ١٩١٧م ثم أعادت طبعه وتصويره مطبعة أكسفورد

---

[٣] انظر: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام ص ٥١ د محمد عبد الله الشرقاوي، دار البشير، ط١ ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

(كمبردج) ونشرته دار (ORIEHTSIRA) في لاهور سنة ١٩٧٥م، والكتاب أقدم أثر في الأدبيات الإنجليزية يتعاطف مع الإسلام ورسوله، وهو يمثل فرصة فريدة لإطلاعنا على تصورات الأوروبيين المزيفة عن الإسلام في المناهج الدراسية والمراجع والموسوعات ووسائل الإعلام المختلفة. يحتفظ المتحف البريطاني بثلاث نسخ مخطوطة لهذا الكتاب علاوة على خطابات ورسائل تبادلها المؤلف (هنري ستوب) مع بعض العلماء والمفكرين، ويتكون الكتاب من عشرة فصول هي:

١- نظرة عامة إلى حالات اليهودية والنصرانية منذ عيسى عليه السلام إلى محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

٢- تقويم المؤلف للروايات السائدة عن تاريخ النصارى الأوائل وعقائدهم.

٣- تقرير موجز عن الجزيرة العربية والعرب.

٤- سيرة النبي ﷺ من مولده إلى هجرته من مكة.

٥- إنجازات محمد ﷺ في المدينة.

٦- غزوات محمد ﷺ.

٧- حجة الوداع وموت النبي ﷺ ومواراته الثرى.

٨- شخصية النبي محمد ﷺ وادعاءات النصارى الخرافية عنه وعن دينه.

٩- القرآن ومعجزات محمد وبشارات الأسفار الدينية النصرانية حوله، ورأي موجز عن ديانته وسياسته.

١٠- عدالة الحروب الإسلامية وتبرئة محمد ﷺ من موقفه من النصارى، وأن الإسلام لم ينشر ديانته بالسيف.

هذه فصول هذا الكتاب العظيم وكيف سفه المؤلف دعاوى النصارى عن الإسلام ورسوله ورد خرافة الانتشار للإسلام بالسيف، فهذا الكتاب استطاع أن يقدم للنصارى صورة واضحة القسمات عن إشكالية (الغرب والاعتراف بالآخر) متمثلة في محتوى

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الكتاب ذي القيمة العلمية والتاريخية وليلفت في الوقت ذاته أذهان الباحثين والمهتمين بهذه الإشكالية إلى قراءته ودراسته بوصفه وثيقة في موضوعها ومنهجها وتاريخ تدوينها طالما نُسيت أو تنوسيت والكثيرون في غفلة عن أمره[٤].

لقد كتب هنري ستوب كتابه هذا في القرن السابع عشر؛ أي في عصر الجهالة في موقف الغرب من الإسلام وفي عصر الانغلاق المسيحي والتعصب التام ضد الآخرين وقبل حقبة الاستعمار والخروج الأوربي العظيم، فكان فذا وجاء استثناء ليؤكد القاعدة العامة التي استقرت في الغرب المسيحي، وأعني بها العمل المنظم والمخطط لتشويه الإسلام ورسوله ﷺ، وهي مؤامرة ضد الحق والعقل والحرية، قبل أن تكون مؤامرة ضد الإسلام ونبيه، ويقول مقدما مثالا على عدالة الحروب الإسلامية: " إنه سوقي ساذج ذلك الذي يذهب إلى أن محمدا قد نشر ديانته بالسيف، وأنه لم يجبر العرب فقط على قبول عقيدته، لكنه فرض على خلفائه عهدا أبديا وتكليفا ملزما بأن يعملوا على استئصال المسيحية والأديان الأخرى لكي يحل الإسلام محلها ويصبح ديانة علمية[٥].

إن ما ذكره ذلكم المؤلف الشجاع يفسر بما لا يدع مجالا للشك أن أحفاد المستشرقين الآن ينفذون رؤية أجدادهم بكل حذافيره فيما يخص عداءهم للإسلام والمسلمين والكيد لهما، وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير.

إنَّ من أهم ما ينبغي للمسلم إدراكه في الحياة العدوَّ الذي يتربص به وبدينه من كل جانب، ويحاول أن ينقضَّ عليه لاستئصاله، وانتزاع عقيدته من واقع حياته. وهذا العدو يظهر بأشكال كثيرة ومتنوعة، فأحياناً يكون بصورة استعمار عسكري يغزو البلاد وينهب الخيرات، وأحياناً يكون تحت شعارات إنسانية وحقوق الإنسان، ويأتي أحيانًا أخرى بهدف الحوار الحضاري أو المعرفي، وكلها صور مختلفة ولكن الهدف واحد، هو استعمار البلاد واستعمار العقول حسب ما تملي عليهم مبادئهم ومصالحهم. ولكن أخطر

---

[٤] لماذا يكفرون بنبينا ويكرهونه مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؟! مقال بمجلة البيان، أحمد بن عبد العزيز العامر، بتاريخ ٢٠١٢/١١/١٣م.

[٥] الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام ص ٥٧ د. محمد عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذه الأنواع ذلك الذي يتغلغل داخل الأمة عبر الثقافة والمعرفة، ومنه ما يسمى بالاستشراق، فإنه عدو خطير بكل أدواته ووسائله؛ لأنه يحارب بالشبهة من خلال بعض ما يتوافر لديه من أحداث تاريخية أو روايات غير صحيحة، ولكنه يضعها في ثوب يثير الانتباه، ويشكك الضعفاء من أبناء الأمة في أمر دينهم وتاريخهم، مستفيدًا من بعض الصراعات التي حدثت في التاريخ الإسلامي في القرون الأولى لهذا الدين.

وهذا العدو خطير؛ لأنه مدعوم بأشياء كثيرة ومن أطراف متعددة، فتدعمه بعض الدول الكبرى والمؤسسات العلمية في الغرب والشرق، والتي لها شهرة معرفية لدى معظم دول العالم، هذا فضلاً عن القيادات التي ترأس هذه المؤسسات وعلاقاتهم مع الساسة الكبار في دولهم الاستعمارية.

لقد ظهرت دراسات تحليلية كثيرة في القرن العشرين عن الإسلام والمسلمين وعن القرآن الكريم، وعن السنة النبوية، وعن السيرة النبوية، وعن الثقافة الإسلامية وعن الشريعة الإسلامية، وهذه المؤلفات قامت بعقد دراسات مقارنة، والمقارنات منذ القديم تستهدف شيئا أساسيا وهو تصوير الرسول - ﷺ - أنه مصلح اجتماعي عكس ضرورات البيئة العربية في مكة. ويقول جب Gib : «إنه نجح لكونه أحد المكيين» بمعنى أنه عبر عن الحاجيات المحلية، ومهما اختلفت العبارات ما بين قسوة كاملة تتسم بسوء الأدب عند ذكر الرسول، - عليه الصلاة والسلام - وهذا ما يقوله المستشرقون المتأخرون عن المتقدمين بأنهم أساءوا جدا - وبين دراسات أكثر موضوعية وحيادا. ومهما اختلفت الصورة تبقى هناك قضية أساسية وهي أن جميع المستشرقين - متسامحهم ومتعصبهم - يتأثرون بوسطهم الثقافي المعادي للإسلام إلا من أسلم منهم، وهم قلة كما تعلمون مثل " أتين دينيه "، صاحب " محمد رسول الله " و " أشعة من نور الإسلام " وهو فرنسي، ومثل " موريس بوكاي " الذي قارن بين القرآن والانجيل والتوراة، ولما تبين له أن الكتب السماوية المحرفة تتناقض مع العلم، وأن القرآن لا يتناقض مع أية حقيقة علمية ثابتة عندئذ أعلن تشهده وإيمانه بنبوة محمد - ﷺ -، وبأن القرآن كلام الله، وهو من كبار العلماء الفرنسيين في الطبيعيات، وهؤلاء قلة أمام الكثرة الكاثرة التي استمرت تصور الرسالة الإسلامية على أنها هرطقة - هرطقة: اصطلاح يطلق على المنشقين عن الكنيسة النصرانية - فهم يرون أن الإسلام هرطقة وحركة خارجة عن النصرانية، وأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يكن نبيا موحى إليه وإنما كان على حد أحسن

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تعبيراتهم وهو ما يقوله مونتغمري وات - أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة لندن، وهو من أحدث الذين كتبوا في السيرة النبوية من المستشرقين في كتابيه: " محمد في مكة "، "محمد في المدينة" Mohammad At Mekka . Mohammad At Medina وهو يقول: «إن محمدا صادق، لأنه يخيل إليه أنه بعث نبيا، وأنه يحمل رسالة، وأنه يوحى إليه»[٦].

ويمكن لنا أن نذكر إجمالا موقف المستشرقين من السنة النبوية قبل تفنيد شبهات المستشرقين لا خوفا على الإسلام، ولكن إحقاقا للحق وإظهارا للحقد والكراهية والكيد للإسلام وأتباعه لدى عموم المستشرقين فالمستشرق "شاخت" وضع كتابه "في أصول الشريعة المحمدية"، ولعله أشهر كتاب له، جعله طعنًا في كتب السنة الصحيحة ومسانيدها، وقال: إن الأحاديث الفقهية وغيرها ظهرت في القرن الثالث الهجري، وأن الفقه ومسائله لم يظهر في عصر محمد ولا في عصر الصحابة، وإنما ظهر بعد هذا الجيل، واستدل بذلك على كذب الأحاديث النبوية، ومع ما في هذه الدعوى من مغالطات وأكاذيب تاريخية، فإن هذا المستشرق لم يكلف نفسه عناء البحث؛ ليعرف أن أقوال الرسول وأفعاله كانت تقوم بين جيل الصحابة مقام كتب الفقه بين الأجيال المتأخرة فضلا عن أن أحاديث الفقه كغيرها من الأحاديث الأخرى رواها المحدثون بسندها المتصل عن رسول الله ﷺ، وللمحدثين في ذلك منهج في التوثيق أفاد منه إلى حد كبير علماء المناهج المعاصرون، ووصفوه بالدقة، والموضوعية، وقوة الضبط، وسلامة النقل، وسار على نفس المنهج في التشكيك في كتب السنة آخرون أمثال "منتوجمري واط" المستشرق الإنجليزي، و"مارجليوث" و"جولد تسهير" وغيرهم، والأدلة التي يذكرها الواحد منهم على صحة دعواه تجدها مكررة عند غيره كأنهم قد تواصوا بذلك فيما بينهم وتوارثوها جيلا بعد جيل[٧].

* * *

المبحث الثاني: حجية السنة النبوية

---

[٦] موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ص ٦٠، مرجع سابق.

[٧] الاستشراق والتبشير ص ٥٣ ، ٥٤ د. محمد الجليند دار قباء للطباعة والنشر، دون تاريخ.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

السنة في اللغة تعني العادة، والطريقة حسنة كانت أو قبيحة، قال تعالى:" ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧) أي طرق.

وأما في الاصطلاح، فهي ما صدر عن الرسول ﷺ غير القرآن، من قول أو فعل أو تقرير أو هي ما صدر عن الرسول ﷺ من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلوّ، ولا هو بمعجز ولا داخل في المعجز، ويدخل في ذلك أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وتقاريره[٨].

ومن المعلوم بداهة أن منزلة السنة النبوية في الأهمية تأتي بعد منزلة القرآن الكريم، فهي الشارحة المبينة للقرآن الكريم، فمن لم يجد طِلبته في كتاب الله بحث عنها في السنة، ولم يرد خلاف البتة حول ذلك عن صحابة رسول الله ﷺ ولا من جاء بعدهم من

السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

وتجدر الإشارة إلى أن حجية السنة النبوية وكونها طريقا لمعرفة الأحكام الشرعية، فذلك من ضروريات ديننا الحنيف، ومن القضايا المسلم بها عند جميع المسلمين، ولا يشك في ذلك إلا جهول متعصب، أو ملحد مكذب، كيف لا واعتقاد ذلك من لوازم الإيمان به ﷺ وذلك كله ثابت بالقرآن الكريم، والسنة النبوية والعقل الصريح.

أولًا- حجية السنة من القرآن الكريم

قال تعالى: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ الأنفال:٢٠

وقال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١

[٨] حجية السنة: ص ٩٦ محمد الطاهر الحامدي، هدية مجلة الأزهر رجب ١٤٤٠هـ=٢٠١٩م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥

قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: ٦٣

وقال سبحانه: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧

ثانيًا- حجية السنة من الحديث النبوي

في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله" [٩].

وقال ﷺ فيما رواه العرباض بن سارية: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ"[١٠]

ثالثًا- حجية السنة من العقل الصريح

إن العقل بداهة لا يقبل أن يرسل الله رسولا إلى عباده ثم يقول: لا تأخذوا بقول هذا الرسول، ولا تتبعوا أوامره، بل إن العقل السليم يقول: إن رسول الله مبلغ عن ربه، فإذا أقره الله سبحانه وتعالى على ذلك فذلك دليل رضى الله تعالى عما يقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ الحاقة ٤٤ : ٤٦

وقصارى القول: أن إنكار حجية السنة والادعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم عاقل يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة.

---

[٩] أخرجه البخاري برقم ٢٩٥٧ .

[١٠] أخرجه أبو داود برقم ٤٦٠٧ والترمذي برقم ٢٦٧٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وهو كلام يصادم الواقع، فإن أحكام الشريعة إنما ثبت أكثرها بالسنة، وما في القرآن من أحكام إنما هي أحكام مجملة وقواعد كلية في الغالب، وإلا فأين نجد في القرآن أن الصلوات خمسة، وأين نجد ركعات الصلاة، ومقادير الزكاة، وتفاصيل شرائع الحج، وسائر أحكام المعاملات والعبادات؟[١١].

* * *

المبحث الثالث: نماذج من الشبهات التي أثارها المستشرقون وتلقفها بعضهم عن بعض والرد عليها

الشبهة الأولى: السنة النبوية لم تدون إلا بعد مائتي سنة من وفاة النبي ﷺ.

عرض الشبهة:

يرى الكثيرون أن تأخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية للهجرة أعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا وينقصوا في الحديث وفي وضع أحاديث لخدمة أغراضهم. يردد هذا جولدتسيهر ودوزي وشبرنجر. وقد شك جولدتسيهر في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول، راميا من وراء ذلك إلى إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور، وهو يرمي أيضا إلى وصم السنة (أو أغلبها) بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين، وهو يزعم أن هؤلاء المدونين لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما يوافق هواهم، ويرى شبرنجر في كتابه " الحديث عند العرب " أن الشروع في التدوين وقع في القرن الهجري الثاني وأن السنة انتقلت بطريق المشافهة. أما دوزي

---

[١١] السنة النبوية في مواجهة التحديات والشبهات المعاصرة ص١٠ ، د. أيمن محمد مهدي، ط١ ١٤٢٦ = ٢٠٠٥م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فهو ينكر نسبة هامة (التركة المجهولة) كما يسميها من الأحاديث إلى الرسول[١٢].

الرد على الشبهة:

١- إذا أمعنت النظر فيما قدمته في هذه الرسالة من حرص الصحابة على حفظ حديث رسول الله - ﷺ - ونقله وحرص التابعين وتابعي التابعين فمن بعدهم، على نقل هذا الحديث وجمعه وتنقيته من شوائب التحريف والتزيد، وما قام به علماء السنة من جهود جبارة في تتبع الكذابين والوضاعين، وفضح نواياهم ودخائلهم، وبيان ما زادوه في السنة من أحاديث مكذوبة، حتى جمعت السنة في كتب صحيحة، وأشبعها النقاد بحثا وتمحيصا، ثم خرجوا من ذلك إلى الاعتراف بصحتها والتسليم بها، إذا أمعنت النظر في ذلك كله، أيقنت أن هؤلاء المستشرقين يخبطون في أودية الأوهام، ويتأثرون بأهوائهم وتعصبهم في الحكم على حقائق يعتبر العبث بها في نظر المحقق المنصف إسفافا وتلاعبا بالعلم، وإخضاعا لحقائق التاريخ إلى نظريات الهوى والعصبية[١٣].

٢- ما أشار إليه السيد أبو الحسن الندوي من أن الصحابة بدأوا في تدوين الحديث في عهد النبي - ﷺ -، وكانت هناك مجموعات من الأحاديث لعدد من الصحابة منها " الصحيفة الصادقة " لعبد الله بن عمرو بن العاص، وكان لعلي بن أبي طالب صحيفة، وكان لأنس ولعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله، لكل منهم صحيفة، وهناك " صحيفة همام بن منبه، فإذا جمعت هذه الصحف والمجاميع كونت العدد الأكبر من الأحاديث التي جمعت في الجوامع والمسانيد والسنن في القرن الثالث، وقد تحقق أن المجموع الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه ونسخه من غير نظام وترتيب في عصر الرسول وفي عصر الصحابة، وقد شاع في الناس حتى المثقفين والمؤلفين أن الحديث لم يكتب ولم يسجل إلا في القرن الثالث الهجري.

---

[١٢] السنة في مواجهة شبهات الاستشراق، أحمد أنور سيد أحمد الجندي ص ١٣ لمكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط١: ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

[١٣] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٢٢٠مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي – دار الوراق للنشر والتوزيع، ط١، سنة ٢٠٠٠م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وأحسنهم حالا من يرى أنه كتب في القرن الثاني وما نشاهد هذا الغلط إلا عن طريقين: الأول: أن عامة المؤرخين يضطرون إلى ذكر مدوني الحديث في القرن الثاني ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التي كتبت في القرن الأول لأن عامتها فقدت أو ضاعت مع أنها اندمجت وذابت في المؤلفات المتأخرة.

الثاني: أن المحدثين يذكرون عدد الأحاديث الضخم الهائل الذي لا يتصور أن يكون في هذه المجاميع الصغيرة التي كتبت في القرن الأول؛ مع أن عدد الأحاديث الصحاح غير المتكررة المتحررة من المتابعات لا يزال قليلا، فحديث «إنما الأعمال بالنيات» مثلا يروى من سبعمائة طريق، فلو جردنا مجاميع الأحاديث من هذه المتابعات والشواهد لبقي دد قليل من الأحاديث، فـ " الجامع الصحيح " للبخاري لا تزيد الأحاديث التي رويت بالسند الصحيح فيه عن ألفين وستمائة وحديثين. وأحاديث " مسلم " يبلغ عددها أربعة آلاف حديث. ومعظم هذه الثروة الحديثية قد كتب ودون بأقلام رواة العصر الأول، وقد يزيد ما حفظ في الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا في العصر النبوي وفي عصر الصحابة على عشرة آلاف حديث إذا جمعت في صحف ومجاميع أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعلي وابن عباس.

وبذلك يمكن أن يقال: إن ما ثبت من الأحاديث الصحاح وما احتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون في عصر الصحابة قبل أن يدون " الموطأ " و " الصحاح " بكثير[١٤].

٣- أن التصنيف في أبواب الحديث المتعددة جاء في مرحلة متقدمة في كتابة الحديث، وشأن علم الحديث في هذا الصدد كغيره من العلوم، وقد تم ذلك قبل عام ٢٠٠هـ، و صنف الحديث في أوائل القرن الثاني حيث توفي كثير من مصنفي بعض كتب الحديث في منتصف المائة الثانية تقريبا، مثل جامع معمر بن راشد (١٥٤هـ)، وهشام بن حسان (١٤٨هـ)، وابن جريج(١٥٠هـ)، وجامع سفيان الثوري (١٦١ه)، وهذا يعني أن ما أثاره

[١٤] السنة في مواجهة شبهات الاستشراق، أحمد أنور سيد أحمد الجندي ص ١٦، مرجع سابق.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هؤلاء المستشرقون مجرد اتهام باطل لا دليل عليه[١٥].

٤- يقول الدكتور عبد العظيم المطعني في الرد هذه الشبهة: "هذه الشبهة مهما غالى المعاندون في دلالتها على مراهم منها، فإنها اشبه ما تكون بسحابة صيف في سماء صافية، سرعان ما تنقشع.

ولنا في تفنيد ونقد مرادهم منها عدة مسالك:

الأول: ليس صحيحا أن عصر صدر الإسلام خلا تماما من تدوين السنة، إذ من المعلوم أن أجزاء من السنة تم تدوينها في حياة الرسول نفسه، وبتوجيه مباشر منه. من ذلك كتبه ورسائله لرؤساء الشعوب وزعماء العشائر والاتفاقات والمعاهدات والتصالحات، التي جرت في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وهي مجموعة الآن في وثيقة قيمة، وبعضها مختوم بخاتمة - ﷺ -[ينظر: الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. لمحمد حميد الله - دار النفائس]. ولا ريب أن كل هذه الوثائق جانب من جوانب السنة فيه من هدى النبوة ما فيه.كما تقدمت الإشارة إلى كتبه - ﷺ - إلى عماله، وكان يذكر لهم فيها ما يعينهم على الفصل في الخصومات التي ترفع إليهم في ولاياتهم.مثل أحكام الصدقات (الزكوات) والديات والميراث وبعض السنن، مثل صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، وصحيفة الإمام علي، ومكا كتب عام فتح مكة بأمر من النبي لأبي شاه اليمني، فالقول بأن عصر النبوة خلا تماما من تدوين السنة قول فيه بعد عن الصواب.

إن الحق الذي لا محيد عنه أن عصر النبوة يوصف بقلة التدوين للحديث النبوي، ولا يوصف بالخلو التام من تدوين الحديث، وممن عرفوا بكتابة الحديث في صدر الإسلام الأول عبد الله بن عباس، وسعيد بن جبير، وابن هشام وغيرهم

---

[١٥] انظر: بحثا بعنوان "الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من المعاصرين حول السنة" ص١١ د. أحمد محمد بوفرين، الجامعة الأمريكية المفتوحة، وكذلك بحثا بعنوان: "الرد على شبهات المستشرقين حول السنة النبوية المطهرة"، ص ١٠ د. محمد حافظ الشريدة، نابلس، فلسطين، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الثاني: أسباب قلة التدوين في العصر النبوي: قلة التدوين للحديث النبوي في حياة النبي - ﷺ -، وما تلاه حتى نهاية القرن الأول الهجري، لها أسباب وجيهة الأولى: أن سنة رسول الله - ﷺ - القولية كانت محفوظة في صدور الرجال، حاضرة ماثلة في ذاكرة الأمة. فلم تدع ضرورة إلى كتابتها وتدوينها.

الثانية: أن الصحابة الذين عاصرهم رجال الطبقة الأولى من كبار التابعين كانوا محيطين إحاطة كاملة بالسنة العملية، يهتدون بها وبالسنة القولية دون الحاجة إلى الرجوع إلى كتاب مكتوب، وربما كان الصحابة وكبار التابعين يتذاكرون هذه السنن فيما بينهم أو يسأل من جهل شيئا من السنن من هو عالم بها وكل هذا قام مقام التدوين فلم يحتج إليه.

ويضاف إلى هاتين الميزتين ميزة ثالثة، لا تقل عنهما قيمة، وهي أن السنة خلال القرن الأول كانت صافية نقية محفوظة في الصدور على الصور التي سمعت بها من فم النبي الطاهر، صافية نقية من كل دخيل وعليل ومكذوب، لأن هذه الآفات والقوادح ألمت بالسنة في وقت متأخر عن القرن الأول - كما سيأتي - وفي ظروف وملابسات طارئة ما كان لها وجود في القرن الأول الهجري، قرن الصفاء والنقاء[١٦].

الشبهة الثانية: كثرة الأحاديث الموضوعة من العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الإسلام دينا كبيرا، وأن من أسباب ذلك التطور الديني السياسي.

عرض الشبهة:

المقصود من الوضع في الحديث النبوي، هو افتراء واختلاق أي صياغة كلام في الشئون الدينية، وإسنادها إلى الرسول - ﷺ -، على أنه هو قائلها زورا وافتراء عليه، وهذه الظاهرة لا ينكرها أحد، وهي موضع إجماع عند علماء الحديث وغيرهم من علماء الأمة.

الرد على الشبهة:

---

[١٦] الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض ص ٣٩ –٤٠، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط ١ ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

إن منكري السنة المعاصرين وبعضا من أسلافهم يملأون الدنيا صياحا للتهويل من شأن هذه الشبهة، والقصد عندهم معروف، وهو التشكيك في ميراث الأمة من رسولها - ﷺ -، يريدون أن يعتقد للناس سريان الوضع على الأحاديث المتداولة في كتب الصحاح والسنن وغيرها، وهم يعولون على هذه الشبهة كثيرا لأن علماء الأمة - كما تقدم - معترفون بظاهرة الوضع في الحديث، وما دام الأمر - كذلك - فلماذا لا يطرقون الحديد وهو ساخن؟! ويتصل بهذه الشبهة شبهة أخرى، وهي ما يطلق عليه عند علماء الأحاديث مصطلح "الاسرائيليات" ولم نفرد لهذه الشبهة مبحثا خاصا بها، لأنها تندرج - في الواقع - في ظاهرة الوضع بمعناها العام. وإن كان بين الشبهتين فرق فهو الآتي:

إن الباعث على الوضع عند غير بني إسرائيل له صور متعددة سيأتي الحديث عنها بإذن الله.

أما الوضع عند اليهود (بني إسرائيل) فيكاد الباعث عليه أن يكون محصورا في الكيد في الإسلام، وتضليل المسلمين في عقيدتهم وسلوكياتهم في الحياة[١٧].

وبعبارة فيها خبث ولؤم يقول جولد تسيهر متحدثا عن النبي محمد ﷺ: "إن من يؤسس دينا لا يدري ماذا يفعل أي إنه من النادر أن يدرك مؤسس الدين مدى أثر عمله على تاريخ العالم وهذه الكلمة تنطبق أفضل انطباق على محمد ﷺ"[١٨].

وكما هو واضح من عبارة إمام المستشرقين الأكثر عداء للإسلام أنه يهدف للتمهيد للقول بالوضع في الحديث النبوي الشريف، والحقيقة أنني لا أدري كيف استطاع هذا الرجل أن يقول ما قال مع دراسته الجيدة للقرآن والسنة، وكل دارس للقرآن والسنة لديه يقين في أمور وهي:

---

[١٧] السابق ص ١٦٩.

[١٨] العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسيهر ص ٤٣، ط٢ دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ترجمه للعربية كل من: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، والأستاذ. عبد العزيز عبد الحق.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١- أن رسالة نبي الإسلام رسالة عامة لكل الناس، وليست لقوم معينين يقول صلى الله عليه

وسلم: " كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"[١٩].

٢- أن النبي محمد صلى الله عليه سلم كان على دراية تامة بأن دينه سيعلو، وأن العوائق أمامه ستذوب، وقد بشر أصحابه بالفتوح التي تمت في عهد خلفائه، وقد أكد القرآن هذه الحقيقة فقال" " ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]

وقال: " ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]

يقول الشيخ محمد الغزالي ردا على هذه الشبهة: " وكيف يرتب جولد تسيهر على هذا الوهم أن الإسلام ليست به الصلاحية الفقهية كي يشرع للأمم والأجناس، إنه كسيارة، ملأها صاحبها "بجالون من البنزين" يكفي للسير عشرين أو ثلاثين ميلا ثم ينتهي الوقود، وتقف الرحلة، وعلى من يريد استئناف السير أن يجيء بوقود من عنده! فقد نفد البنزين ومات السائق...!![٢٠].

وما سطره هذا المستشرق سرعان ما يتداعى أمام ما وضعه علماء الحديث لمقاومة الوضع في الحديث النبوي الشريف وهذا ما نجد تفصيلا له لدى الكثيرين ممن عنوا بالدفاع عن السنة النبوية الشريفة في سبيل تنقيحها وتنقيتها من الوضع ومنهم العالم الجليل الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم في كتابه الماتع "دفاع عن الحديث النبوي" حيث يقول: "بذل علماء الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعده جهودا مخلصة فوضعوا قواعد الجرح والتعديل، وكان من ثمرة أعمالهم: (علم مصطلح الحديث)، وهو يشتمل على

---

[١٩] جزء من حديث رواه الشيخان والنسائي عن جابر بن عبد الله.

[٢٠] دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ٥٤، للشيخ محمد الغزالي ط٧ نهضة مصر ٢٠٠٥م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أدق الطرق العلمية في التحقيق التاريخي، وأقومها في التمحيص والنقد، وكانت القواعد التي اتبعوها في جهودهم تتسم بالآتي:

١- التزام إسناد الحديث.

٢- التثبت من الأحاديث.

٣- نقد الرواة ودراسة حياتهم وتاريخهم وبيان أحوالهم من صدق أو كذب[٢١].

يقول الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة: "إن بعض المستشرقين من اليهود

والقساوسة كانت أخطاؤهم في دراسة الحديث النبوي الشريف متعمدة بقصد الإفساد في الإسلام، وخلع المسلمين من عروتهم الوثقى: عروة الإسلام، وتقليل الثقة بهذا الدين الإلهي العظيم وذلك عن طريق الطعن في الأصلين الشريفين اللذين يرجع إليهما الإسلام: القرآن الكريم، والسنة والأحاديث النبوية، وفكرة الاستشراق في أصلها لم تكن متمحصة لخدمة العلم والثقافة الإسلامية وإنما هي في أصلها سياسية يقصد بها الطعن في الإسلام وصرف المسلمين عنه ولا سيما عن الأصلين الشريفين: القرآن الكريم، والأحاديث النبوية لأنهم يعتقدون أنهم لا يتم لهم ما يريدون من تملك البلاد الإسلامية والعربية والانتفاع بخيراتها ومواردها إلا عن طريق إضعاف فريضة الجهاد في نفوسهم، وفي القرآن الكريم، والأحاديث النبوية من النصوص المتكاثرة ما يزكي روح الجهاد والمقاومة في نفوسهم، وإذا ما قلت الثقة بهذين الأصلين الشريفين فقد فترت فيهم فريضة الجهاد وسهل على الأعداء تملك البلاد والعباد، وهذا ما كان فإن الغرب لم يتمكن من «الاستخراب» في البلاد الإسلامية والعربية إلا لما ضعف فيهم فريضة الجهاد"[٢٢].

إن بعض المستشرقين والدارسين للسنة من غير المسلمين، بل إن بعض الدارسين

---

[٢١] دفاع عن الحديث النبوي ص ٨٥، د. أحمد عمر هاشم، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

[٢٢] دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين: ص ٣٧٢، ٣٧٣، ط مكتبة السنة.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

من المسلمين كانت أخطاؤهم عن جهل بعلوم السنة، وعدم التعمق في فهمها وعدم فهم كلام العلماء المحققين الذين أفنوا أعمارهم في دراسة الأحاديث والسنن وذلك لأن العلم بالسنة بحر واسع عميق يحتاج إلى صبر وأناة، وطول سهر وبحث ومواصلة لهذا البحث، ويحتاج السبح فيه إلى سباح ماهر يعرف كيف يسبح وعلى أي شاطئ يستقر ويحتاج الغوص والبحث عن لآلئه ويواقيته ومرجانه إلى غواص ماهر لا يكتفي بما هو على السطح عن القاع، ولا بالحجر عن الأصداف والدرر، ولو أنهم نفذوا إلى الأعماق، وعلموا المغازي والمرامي لما وقعوا فيما وقعوا فيه من الأخطاء وإذا كان بعض المشتغلين بالأحاديث والسنن من المسلمين لم يصلوا إلى هذا الحد فكيف لغيرهم ممن ليسوا بمسلمين؟!.

مكث سلطان المستشرق اليهودي جولدتسيهر وسلطان مدرسته متسلطا على كثير من المستشرقين، واعتبروه صنمهم الأكبر فيما قال، واعتبروا كتبه المرجع الأساسي في دراساتهم للأحاديث والسنن، ولم يخرج عن متابعته في كل ما قاله إلا فئة قليلة جدا من المستشرقين المتأخرين عنه فقد تحرروا من متابعته وناقشوه في بعض ما قال، ورأوا في أحكامه على السنة جورا وظلما ولعل السبب في ذلك استقلالهم في التفكير، وتأبيهم عن المتابعة ولو كانت فيما هو خطأ صراح، وما قام به بعض علماء المسلمين الغيارى على السنن والأحاديث من ردود على هذا المستشرق الذي يحمل الحقد والضغن على الإسلام والمسلمين، وذلك بما كتبه حول القرآن وتفسيره، وما كتبه حول السنن والأحاديث.

إن "جولدتسيهر" ما هو إلا امتداد لعبد الله بن سبإ اليهودي الخبيث، وأشياعه الذين أخذوا على أنفسهم الإفساد في الإسلام، وتقويض دعائمه وإذهاب سلطانه.

فليكن المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ولا سيما مثقفوهم وشبابهم في الجامعات الإسلامية والعربية على بينة من هذا وليحذروا السموم، والأباطيل التي يدسها هذا المستشرق ومدرسته في بحوثهم حول القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أعذر من أنذر.

إن بعض المستشرقين كانت لهم في دراساتهم للسنة والأحاديث أعمال مذكورة غير منكورة ومشكورة غير مجحودة، وذلك بإحيائهم بعض الكتب الحديثية، وتأليفهم بعض الكتب التي قربت إلى الباحثين، والدارسين الوقوف على الأحاديث في مظانها،

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ومواضعها وذلك مثل ما صنع " فنسنك " في " مفتاح كنوز السنة " وكما فعل جماعة من المستشرقين بتأليفهم كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي" وهذا يدل على تقديرنا للأعمال العلمية النافعة، وإنا لا نكره المستشرقين كافة، ولا نمدحهم بعامة، وإنما نقول للمحسن: أحسنت، وللمسيء: أسأت، ولمن أحسن في مكان، وأساء في آخر: لقد خلطت عملا صالحا وآخر سيئا وفي الحق أن هؤلاء الذين قاموا بهذه الأعمال المذكورة المشكورة أتيحت لهم من التيسيرات والمساعدات المادية والأدبية ما جعلهم يتفرغون تفرغا كاملا لأعمالهم تلك ولو أن هذه التيسيرات والمساعدات أتيحت لكثير من العلماء المسلمين بالسنة لكان من وراء ذلك خير كثير للإسلام والمسلمين، ولخدمة الثقافة الإسلامية الأصيلة.

"ويؤسفني أن أقول: إن العلماء المسلمين هم الذين كانوا الأولى بتأليف أمثال هذين الكتابين النافعين، وأن أقول أيضا: إن جامعاتنا الإسلامية والعربية لا تقوم بما تقوم به الجامعات الغربية في مضمار تشجيع العلم والعلماء وهي حقيقة ما كنت أريد أن أقولها، ولكن الاعتراف بالحق فضيلة"[٢٣].

وحري بنا في هذا المقام أن نؤكد على العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق، وهو علم النحو وأصول الفقه، وعلم ما نضج ولا احترق، وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق، وهو علم الحديث.

الشبهة الثالثة: الاكتفاء بالقرآن الكريم ولا حاجة لنا بالسنة

عرض الشبهة:

من يتأمل في مجموع الشبهات التي أثارها منكرو السنة، يظهر له أنها قسمان مهما

تعددت. وهذا التقسيم ناشئ بالنظر في الآثار التي رتبوها على كل شبهة، شبهة وإن كنا أشرنا في المدخل إنها ثلاثة أقسام، ويظهر له - كذلك - أن أحد هذين القسمين هو الأصل الذي يبدأون به على افتراض نجاحه عندهم، أما الآخر فهو بديل لذلك الأصل يركزون

(٢٣) السابق: ص ٣٧٥، ٣٧٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عليه إذا فشلوا في تحقيق الآثار المترتبة على القسم الأول، وهذا يعني أنهم مصرون على أن لا يضعوا السلاح في وجه السنة أبدا مهما كانت الهزائم وخيبة الآمال.

فالقسم الأول يهدفون من ورائه إلى محو السنة من الوجود ويقطعون الصلة بينهما وبين النبي - ﷺ - تماما، باعتبار أنها مكذوبة عليه، ومزورة!

والقسم الثاني - البديل - هو السلاح الدائم الشهر في وجه السنة إذا استعصى عليهم محوها والحكم عليها بالتزوير، أي أنهم يشهرون هذا السلاح في وجه السنة مع افتراض صحتها عندهم، واستمرار تمسك المسلمين بها. وكأن لسان مقالهم ولسان حالهم يقولان للمسلمين:

إن هذه السنة الصحيحة النسبة للنبي ليست من النبي ولا المسلمون محتاجون إليها، وتسألهم: ما وجه استغناء المسلمين عنها؟ والجواب عندهم: القرآن وحده يكفي المسلمين في كل شئونهم سواء الشئون الدنيوية، والشئون الدينية.

فهذه الشبهة من أفراد القسم الثاني - البديل - أي التعامل مع السنة في حالة التسليم بصحة صدورها عن رسول الله - ﷺ -. فماذا تقدمت معهم خطوة أخرى فقلت لهم: وما دليلكم على أن القرآن وحده يغني المسلمين عن السنة؟

أسمعوك - بسرعة - قول الله - عز وجل -: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨]، ثم قوله تعالى مع شدة الحرص والتركيز عليه: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ [العنكبوت: ٥١]، وليس لهم بعد هاتين الآيتين من دليل[٢٤].

الرد على الشبهة:

إن الاستدلال بالآية الأولى خطأ، لأن المراد من الكتاب فيها هو اللوح المحفوظ،

---

[٢٤] الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض: ص ١٣١ – ١٣٢، د. عبد العظيم المطعني، مرجع سابق.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فهو الكتاب أحصى الله فيه ما كان، وما هو كائن، وما سيكون أبد الآبدين[٢٥].

أما خطؤهم في الاستدلال بالآية الثانية {أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم} فبيانه يتوقف على ذكر الآية التي قبل هذه الآية، وهي قوله -عز وجل-: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾ العنكبوت: ٥٠

يضاف إلى ما سبق وبعد أن أثبتنا حجية السنة بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وصريح العقل بات القول بالاكتفاء بالقرآن الكريم وحده كمصدر للتشريع في الإسلام ضرب من الخبل والهراء، وهو رأي قوم لا خلاق لهم.

ويضيف الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ردا متميزا على هذه الشبهة حيث يقول "وأخيرا: فكيف يترك الاحتجاج بالسنة اقتصارا على القرآن الكريم؟ ولا سبيل إلى فهم القرآن إلا عن طريق السنة الصحيحة التي يعلم بها المفسر أسباب النزول، والظروف والمناسبات والوقائع الخاصة التي نزلت فيها آيات القرآن الكريم، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا عن طريق السنة الصحيحة"[٢٦].

الخاتمة وبها أهم النتائج:

١- الاستشراق في عمومه، والاستعمار وجهان لعملة واحدة.

٢- للاستشراق منافعه وأضراره، وضرره أكبر من نفعه.

٣- النقد الذاتي للاستشراق أدعى لإلزام أعداء الإسلام بفساد آرائهم.

٤- حاجتنا الماسة لترجمة بعض المؤلفات حول النقد الذاتي للاستشراق.

٥- الهجمة الشرسة على الإسلام ونبيه ورسالته تكشف لنا الوجه القبيح لأعداء الإسلام الظاهرين والمتنكرين.

---

[٢٥] دفاع عن الحديث النبوي، ص٦٠، أ د. أحمد عمر هاشم، مرجع سابق.

[٢٦] السابق: ص٦١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٦- الغرب استفاد من دراسة المستشرقين للإسلام أكثر من استفادة المسلمين أنفسهم.

٧- المسلمون مقصرون في حق تراثهم الإسلامي العتيد والراقي.

٨- الغاية عند المستشرقين في أكثر الأحايين تبرر الوسيلة.

٩- الحرب الشرسة التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون الآن، إنما هي ناشئة عن أقوال غالبية المستشرقين وأعوانهم في الداخل والخارج.

١٠- جاجتنا الماسة لدراسة الاستشراق بصورة أكثر عمقا، وبجهود أكثر تضامنا وتكاملا، وخصوصا النقد الذاتي للاستشراق.

* * *

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المصادر والمراجع

١. الاستشراق والتبشير: د. محمد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر، دون تاريخ.

٢. الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام: د محمد عبد الله الشرقاوي، دار البشير، ط١ ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣. الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته: عبد المنعم محمد حسنين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة- العدد الثاني- ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٤. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: د. محمود زقزوق، طبعة١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٥. حُجِّيَّة السنة: الشيخ محمد الطاهر الحامدي، هدية مجلة الأزهر، رجب ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م.

٦. الرد على شبهات المستشرقين حول السنة النبوية المطهرة: د. محمد حافظ الشريدة، نابلس، فلسطين، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٧. الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من المعاصرين حول السنة: د. أحمد محمد بوفرين، الجامعة الأمريكية المفتوحة.

٨. السنة في مواجهة شبهات الاستشراق: أحمد أنور سيد أحمد الجندي ص ١٣ لمكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

٩. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي- دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠ م

١٠. الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض: د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط ١ ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١١. العقيدة والشريعة في الإسلام: لجولد تسيهر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ترجمه للعربية كل من: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، والأستاذ. عبد العزيز عبد الحق.

١٢. دفاع عن الحديث النبوي: د. أحمد عمر هاشم، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين: د. محمد بن محمد أبو شهبة، ط مكتبة السنة.

١٤. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: الشيخ محمد الغزالي، ط٧، نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

١٥. موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية: د. أكرم بن ضياء العمري الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة، كلية الدعوة.

١٦. لماذا يكفرون بنبينا ويكرهونه مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؟! أحمد بن عبد العزيز العامر، مقال بمجلة البيان، بتاريخ ٢٠١٢/١١/١٣م.

* * *

- **Translation of sources and references into English:**

Sources and references

1. Orientalism and Evangelization: Dr. Muhammad Al-Jalind, Qubaa Printing and Publishing House, undated.
2. Orientalism and the formation of the West's view of Islam: Dr. Muhammad Abdullah Al-Sharqawi, Dar Al-Bashir, 1st edition, 1437 AH / 2016 AD.
3. Orientalism, its efforts and goals in fighting Islam and disrupting its call: Abdel Moneim Muhammad Hassanein,

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Islamic University of Medina, Tenth Year - Second Issue - 1397 AH / 1977 AD.

4. Orientalism and the intellectual background to the civilizational conflict: Dr. Mahmoud Zaqzouq, edition 1404 AH / 1983 AD.
5. The Authenticity of the Sunnah: Sheikh Muhammad Al-Tahir Al-Hamedi, gift of Al-Azhar Magazine, Rajab 1440 AH / 2019 AD.
6. Response to Orientalists' suspicions about the purified Sunnah of the Prophet: Dr. Muhammad Hafez Al-Sharida, Nablus, Palestine, 1432 AH / 2011 AD.
7. Response to the suspicions of the Orientalists and their contemporary followers about the Sunnah: Dr. Ahmed Mohamed Boufarin, American Open University.
8. The Sunnah in the Face of Suspicions of Orientalism: Ahmed Anwar Sayyid Ahmed Al-Jundi, p. 13 of Al-Asriya Library, Sidon - Beirut, first edition: 1401 AH / 1981 AD.
9. The Sunnah and its place in Islamic legislation: Mustafa Al-Sibai, Islamic Office - Dar Al-Warraq for Publishing and Distribution, first edition, year 2000 AD.
10. The thirty suspicions raised to deny the Sunnah of the Prophet, presentation, refutation, and refutation: Dr. Abdul-Azim Al-Mutani, Wahba Library, 1st edition, 1420 AH / 1999 AD.
11. Doctrine and Sharia in Islam: by Gold Ziher, Modern Book House in Egypt and Al-Muthanna Library in Baghdad, translated into Arabic by: Dr. Muhammad Youssef Musa, Dr. Ali Hassan Abdel Qader, and Professor. Abdul Aziz Abdul Haq.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

12. Defense of the Prophet's Hadith: Dr. Ahmed Omar Hashem, Wahba Library, 1st edition, 1421 AH/2000 AD.
13. A defense of the Sunnah and a refutation of the similarities of orientalists and contemporary writers: Dr. Muhammad bin Muhammad Abu Shahba, ed., Library of the Sunnah.
14. A Defense of Faith and Sharia Against the Attacks of the Orientalists: Sheikh Muhammad al-Ghazali, 7th edition, Nahdet Misr, 2005 AD.
15. Orientalism's position on the Sunnah and the Prophet's biography: Dr. Akram bin Diaa Al-Omari, Islamic University - Medina, Faculty of Da'wah.
16. Why do they disbelieve in our Prophet and hate him even though they know him as they know their children?! Ahmed bin Abdul Aziz Al-Amer, article in Al-Bayan magazine, dated 11/13/2012 AD.

* * *

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898